مبدعون منسيون

أدب " القول " .. امتداد للأدب ألشفاهي قبل ابتكار الكتابة

عبد العزيز لازم

تفرز الشعوب والمجتمعات على نحو موصول مجاميعها من عشاق الكلمة من ذوي الأوجاع المندفعة والانبهارات الخلاقة وتلبسهم عباءاتها المميزة . لم يخرج المجتمع العراقي عن هذا القانون الأزلي بل انه دأب بصبر خلاب على إنتاج مكنوناته الخاصة التي لم يسبقه إليها أي نظير. فلم تتوقف أنساقه العريقة عن تمثّل خيالاته الفارهه واستيعابها وإرسالها في وجه العالم . ونحن هنا نتحدث عن ارض لم تكن يوما مساحات خالية من البشر أو من أنفاس الحياة ، بل إن إنسانها الذي أدمن البقاء في تضاريسها قد سام بخياله إلى البحر والى الفضاء أيضا فراحت أساطيره تمخر بأبطالها البحار السبعة ورام أبطالها يؤسسون في قوانين الملاحة التي عرفها العالم منهم برغم أنهم لم يبحروا في بحار فعلية بحكم موقع أرضهم المولعة بالسنابل و العناقيد .

وقد اخبرنا واضعوا جلجامش الدؤوبون بأن الخلود سيبقى في متناول إنسان الرافدين حتى وان كان إكسيره في نبات استقر في قاع البحر. بل إن القاضي جلجامش الذي خاطبت أمه الإله قائلة:(علام منحت ولدي قلبا مضطربا؟) سخر من ذلك أيضا فاندفع إلى أعماق أخرى فكان هو(الذي رأى كل شيء) مؤسسا حقيقة كبرى مفادها إن الخلود يستقر في العمل الصالح ، العمل الذي عرفته الكتب السماوية اليوم بأنه (ماينفع الناس) الذي(يمكث) في الأرض وقد استقر ذلك في مدينته الحالمة التي حملت الاسم الأول للعراق (أوروك). أما أسطورة (أتينا والنسر) فقد رأى واضعوها ورواتها إن ساحة الطموح البشري ومخلوقاته هي الفضاء وكأن الامتدادات الثرية التي جال بها إنسان الفترة السحيقة قد ضاقت بأحلامه ، فأراد ملك (اربدوا) أتينا الذي رفض العقم الذي أصيب به أن يقول لنا إن العقم وعدم الإنجاب لا مكان له في تلك الحياض فامتطى صهوة النسر الجبار بعد أن داوى جناحه الكسير كي يختطف الدواء من القوة العليا المؤثرة الإله(آنو) والإله (انليل) .فراح الملك يصف للنسر منظر الأرض من الفضاء مقدما صورة تنافس في دقتها الصور التي قدمتها الكاميرات العملاقة المثبتة على المركبات الفضائية في أيامنا.

هذه عينة مختصرة جدا تعطي صورة عن الأجواء الابداعية التي كان يخلقها ويعيشها إنسان العراق القديم. ويؤكد مؤرخو العالم اليوم أن الأدب العالمي قد بدأ من الأدب السومري (صامويل نوح كرا يمر). ويضيف أصحاب الخبرة المدققون في شؤون الانثروبولوجيا إن الأدب هناك قد بدا شفاهيا قبل اكتشاف الكتابة في المنطقة ذاتها فكان الناس يطلقون أقوالهم المأثورة ويروون الحكايات المشحونة بالعبر والأفكار التي تجد حضنها في داخل المجتمع لأنها مستمده من تجاربهم في العمل والعلاقات فتعيد شحن خياله وتؤسس ميثولوجيا دائمة. أن الميثولوجيا العراقية القديمة قد انتقلت من الحالة الشفاهية إلى الألواح المكتوبة من قبل السكان بعد ابتكار الكتابة على أيديهم ومن ثم انتشارها إلى الحضارات الأخرى المجاورة وكذلك الحضارات التي ولدت لاحقا.

إن ظهور الكتابة وانتقال الإبداع الأدبي من القول إلى الكتابة وبالتالي ظهور الأدب المقروء والمحفوظ في بلاد ما بين النهرين ومن ثم انتقال الظاهرة إلى العالم لم يؤد إلى الإلغاء التام لملكة القول أوالكلام كوسيلة تعبيرية إبداعية. بل إن من المبدعين من زهد بالكتابة ولم يستطع التآلف مع حال القرطاس والقلم وتنظيم الأفكار وطرحها على مساحة الورق الضيقة.ومنهم من اعتبر الكتابة نوعاً من الترف واستجابة لمنطق واقع لا يستطيع التصالح معه. وكأن المرأة العراقية القديمة تعود لتطلق مناجاتها المتجددة: (الهي علام منحت ولدي قلبا مضطربا؟) ويجدد جلجامش المضطرب رحلته اللانهائية مغترفا أسبابا جديدة وواضعا أهدافا لا تنتهي مستمده من حياة لا تكف عن إطلاق حقائقها المستورة ومستحقاتها الجبرية. إن روح جلجاميش وروح أتينا وروح (أدبا) الإنسان الذي كسر جناح الريح لأنها قلبت قاربه تعاود الظهور في كل العصور العراقية . الروح الخلاقة الطامحة أبدا إلى كسر الأستار تولد مع المبدع العراقي في كل العصور . لكن المبدع المجهول لا يسجل كشوفاته على الورق أو يعلنها في وسائل الإعلام والثقافة . إن جيوبه مليئة باللعنات يرميها في وجه الجدران ويستفز بها كائنات الكهوف الظلماء داعيا عصافيره كلها إلى إن تشاركه في مهمته. إن هذه المهمة يصفق لها الجمهور الذي يتلقى نصيبه من اللعنات هو أيضا وقد لا يفهمها لأنها تقع في زمان خارج زمانه. أما هو فيمضي في إطلاق اللعنات يخنقه قرفه مما هو قائم ورفضه القاطع لموقف مثقفي زمانه من مواضعات يعملون في إطارها ويفكرون بالأجر الذي يحصلون علية لقاء عملهم . هذا الكائن القلق أبدا يؤسس بدأب لقانونه الخاص الذي يقوم على ثلاث دعائم متلازمة هي : الرفض من اجل الرفض ، وحصر العالم في المنظور الذي تحدده العدسة الخاصة به دون غيرها من العدسات ، والحساسية المفرطة التي تفتح في وجدانه نزيفا متواصلا لا يكف عن منعه من الجلوس على طاولة ومسك القرطاس والقلم ليرسم ما يراه على سطح الورق . المبدع هنا يتملكه إحساس مريع بالعجز ومن ثم يتوصل إلى حالة من الإحساس باللاجدوى، لا جدوى من الكتابة ولا جدوى من طرح الأفكار المنظمة على الورق والتي يمكن أن تخضع للنقاش وتستجيب للمساجلات المألوفة .وهو بذلك يواصل الإصرار على رفضه لما هو قائم من معايير ووسائل إدامة الواقع ووسائل تغييره أيضا . لكن هؤلاء المبدعون لم يصمتوا ، بل أن وسائلهم قد اتجهت إلى أسلوب آخر وهو القول ألشفاهي وكأن هؤلاء قد عادوا بنا إلى نوع من التلقائية التعبيرية التي كان إنسان الرافدين الأول يعتمدها قبل اكتشاف الكتابة ، وهو مايبرر ميلهم إلى الصدق في ردود توصلاتهم الذهنية .فهل أن الميل لتفضيل أسلوب القول بدلا من القلم هو ميل ابدي لا يخضع لمنطق العصور المعروفه؟ وهل إن الحرف المكتوب يمكن أن يصبح عبئا على من يلجأ إليه باعتباره تسجيلاً وثائقياً لموقف ذي شحنة مشكوك في جدواها؟

إن الأسئلة تتراكم في أذهاننا كما تتراكم في أذهان أولئك المبدعين الذين اختاروا لأنفسهم بوعي أو بغيره أماكن تقع في طيات منسية واختاروا متعة الانزواء داخل عوالمهم العاصية. إنهم يتحملون قلة التقدير الصادرة عن عالم سائد يرفضونه ويهزؤون به ، وربما هذا هو جوهر موقفهم من كل شيء. لكننا هنا أمام ظاهرة لا يمكن تجاهلها بل تستدعي انتباهنا نحن الذين ندعي الجدية في التعرف على عالمنا والتعامل معه بروح احترام حقائقه ، فهؤلاء المبدعون ليسوا خارج منطق الطبيعة التاريخية المعقدة لعالمنا، بل أنهم قد يسودون في أسلوب ردود أفعالهم ومواقفهم في فترات ذات طبيعة قد نشأت بفعل تراكم جملة من العوامل. حصل ذلك في العراق في فترات تاريخية لا مجال لحصرها الآن ، لكننا أبناء هذا الزمان نتذكر بقوة فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. وهي الفترة لتي شهدت بلوغ الحرب الباردة ذروتها وما أفرزت من نتائج على البلدان الأخرى ومنها بلادنا. إن بلادنا (ولا نعرف طبيعة هذا التخصيص بتفاصيله) قد تلقت نصيبا خاصا من الانفعال ومن عقد التوتر. ونشير بالذات إلى حدث انهيار الحلم الوطني الخلاق عام ١٩٦٣ وما تطلبه من مجازر دموية ضد أصحاب الحلم ليس من السياسيين وحسب بل ومن غير السياسيين (كان الطوفان شاملا)، ثم واصل الطوفان سيره نحو الأطراف فكانت خيبة حرب حزيران عام ١٩٦٧ وكانت بلاد الرافدين حاضرة في مركز الحدث أيضا. لقد أقام هذا النبض الإنساني الكاسح امتداداته التلقائية مع أحداث عالمية أخرى خاصة أحداث ثورة الطلبة عام ١٩٦٨ في باريس التي كانت ردة فعل جبارة من داخل مركز النظام الرأسمالي ليس ضد مساوئ النظام الرأسمالي فحسب بل ظهرت أفكار عبرت عن القلق بله الادانة لبعض التطبيقات الخاطئة في المعسكر الاشتراكي آنذاك وقد تناغم مضمون ذلك مع ما سمي بـ(ربيع براغ) الذي ساهم هو أيضا بتصعيد نبض القلق الذي اجتاح وجدان الآلاف من مبدعي العالم حول مصير قضية العدالة الاجتماعية المستقرة في أحلامهم.

وكان المبدع والمثقف العراقيان يعيشان في صميم تلك الأحداث وتداعياتها رغم ضيق مجال الاتصالات وإمكانيات السفر لديهم. كان الواحد منهم يفكر بقلق شديد وهو جالس في المقهى الصغير حول ما ستؤول إليه الأمور في زيمبابوي وفي سائر إفريقيا أو يناقش بحب وانفعال شديد عنصر الزمن في رواية (الصخب والعنف) ، أو يأتي احد منهم باكيا لأن الحيتان في البحار البعيدة تتعرض للانقراض بسب جور الإنسان. كان مبدعو القول شديدي الحساسية في كل شيء وكانوا يبحثون عن مصادر معرفية متنوعة تغذي أحاسيسهم بمزيد من الرهافة. كانوا لا يكتبون لأنهم ببساطة لا يستطيعون ولا يريدون ذلك وكانوا مأزومين وكانت الأزمة هي القوت الذي يديم غيظهم وعصيانهم. ظهر منهم في ستينيات القرن الماضي (عبد الأمير الحصيري) الذي تخلص من يقينه وثباته الوجداني في مدينته (النجف) بأن رمى عمامته هناك ثم انزوى داخل قارورته ينشد النوم في طرقات بغداد . الغريب أن كلمته التي أطلقها في وجه الريح كانت شعرا منضبطا ومطيعا لقواعد الشعر القديم وقيل إن بعض أصدقائه قد ادعى نسبته إليه لجودته ونشره باسمه دون أن يعلم صعلوك بغداد بوقائع السطو الأخوي على ممتلكاته، فقد غادر الحياة واستقرت قارورته في قاع دجلة وهو راقد فيها، فصارحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة. وظهر أيضا (حسين عجة) ، شابا جنوبيا من ميسان طبخته هموم مدينته، المسورة أبدا بالطين وقلة الأعتبارثم قام هو بإعادة طبخ تلك الهموم فتحولت عنده شواغل كونية كثفت حزنه ووعيه، وهو يواصل اليوم تمزيق نفسه في أزقة باريس حاملا راية مخذولة لحقيقة لا يعرفها أحد غيره. انه شديد الحساسية وسريع البكاء وهو إذا تكلم فلا تملك إلا أن تستمع إليه رغم إن أقواله صادرة عن بيئة سريالية سحيقة. قام احد أصدقائه من العاملين في ألصحافة بنشر قصيدة له فبدا الأمر بعيد الانسجام مع حالته التي تقوم على القول الشفاهي فكف عن النشر. ترك إرثا شخصيا مفعم بالذكريات الموحية ورافق حلما لا نهاية له. إن روحه تتجول في السحاب ورجليه في طين النهرين. كان (حسين) وغيره ينقلون إلينا أخبار (منعم حسن) الذي رافقوه وشاركوه الجلسات الساطعة في المقاهي الصغيرة في بغداد وفي مكان سكنه .وكان منعم مركزا للمريدين والمعجبين، حتى إن بعضهم أهدى إليه قصائده التي نشرها في وسائل الإعلام بعبارة (إلى منعم العظيم) أما هو فيتكابر على النشر والشهرة رغم قدراته المعرفية والحسية الفائقة ولا ينسى أن يسمع أصدقاءه عبارات سليطة حين يطلبون منه ذلك يسمعونها ويمضون في ممارسة أحلامهم . كان يعمل قارئ مقاييس استهلاك الكهرباء في المنازل ، يدور في البيوت مفضلا مشاكسة ربات البيوت التي يزورها فيزوده ذلك التجوال بحكايات لا حصر لها يروي بعضها إلى أصدقائه بعد إضافة نكهة القائية ساخرة. أما (وليد جمعة) الستيني المضطرب فقد كان صخّابا يجيد التعبير عن إعجابه بالإعمال الادبيه والفنية بإطلاق سيل من الشتائم ، طريقته في تقييم المواقف الشخصية والإعمال الجمالية. نتساءل اليوم أين هؤلاء المبدعون وغيرهم من جيلهم وغير جيلهم؟ الم يحن الوقت أن تفكر المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية بطريقة ما لإخضاع الظاهرة التي يمثلونها للدراسة وصياغة موقف مناسب منها ؟ ألا يمكن توقع أن الظروف الحالية التي تلف بلادنا تولد مجاميع جديدة منهم ؟

الوضع المعيشي المتردي لفناني العراق

حسين نعمة مثلاً!

كاظم حبيب

من شاهد واستمع إلى المقابلة التلفزيونية المهمة التي أجرتها وعرضتها قناة الحرة في برنامجها الأسبوعي "سيرة مبدع" مع الفنان المبدع حسين نعمة في يومي الجمعة والسبت من شهر حزيران من هذا العام (٦ و٢٠٠٨/٦/٧) يشعر بالخجل من دولته وحكومته ، ويشعر في الوقت نفسه بوخز الضمير والألم الجارح لهؤلاء الفنانات والفنانين الذين حملوا مع الشعب همومه وأحزانه ، مصائبه وكوارثه وعاشوها يوماً بيوم ، كما فرحوا بفرحته وتنفسوا الصعداء بانتهاء ما قدروا أن يكون نهاية للمظالم والاستبداد والقهر للكرامة وآدمية الإنسان. لقد استمعت لحديث حسين نعمة والكآبة التي خيمت على اللقاء معه وأنا في بغداد ، في مدينة الحب والحياة والطرب التي تحولت عبر سياسات النظام الساقط وإرهاب كل قوى الإرهاب والفساد في العراق إلى مدينة خربة وبائسة والقذارة تحيط بها من كل حدب وصوب إلا من حي طرف المنطقة الخضراء والقادسية ، وإلى حرمان من كل أشكال الخدمات الضرورية لحياة الإنسان الاعتيادي. استمعت إلى المرارة التي انبعثت من فم هذا الفنان ، من حنجرته الذهبية التي أنعشتنا وشنفت أسماعنا بحلو الألحان والكلمات والصوت الدافئ سنوات طوال ولا تزال ، وهو يشكو البؤس والفاقة التي يعيش فيها مع زوجته براتب قدره ١٥٠ ألف دينار ، أي ما يقرب من ١٢٥ دولاراً أمريكيا بائساً في هذه الأيام لا غير. فهل من المعقول أن يعيش مثل هذا الفنان بهذه الحالة المزرية وهناك عشرات الألوف من الناس المتخمين والنهابة لثروات الشعب والذين يعيشون على السحت الحرام ومن أموال الشعب الكريم؟ هل من المعقول أن يكون الراتب التقاعدي الشهري لفنان عراقي مثل حسين نعمة وخزعل مهدي والعشرات من أمثاله ١٥٠ ألف دينار عراقي (الدولار = ١١٢٠ دينارا عراقيا)؟ هل من المعقول أن يقبل الشعب والحكومة ومجلس النواب بمثل هذا الواقع المر والمزري الذي يعيش فيه اولئك الذين غنوا الحزن والفرحة ، وأنعشوا الإنسان العراقي بهذا الفن الرفيع ، فن الموسيقى والغناء؟

لا يستطيع أن يحس بألم هذا الفنان من يمتلك عشرات الدور والشقق ويتسلم راتباً قدرة الآف الدولارات شهرياً ويتسلم رواتب لثلاثين أو أربعين من أفراد الحماية ولا يستخدم لديه سوى خمسة منهم أو حتى أقل من خمسة والباقي في الجيب المتسع باستمرار ، بحالة هذا الفنان ، فهؤلاء في واد والناس الفنانون المبدعون الفقراء مالياً والأغنياء روحياً وعقلياً في واد آخر؟

كم أتمنى أن أشارك في مظاهرة سلمية كبيرة تجوب شوارع بغداد لتعلن عن حضارة هذه المدينة وعراقة احترامها وحبها للفن والفنانات والفنانين وعن احتجاجها الشديد على الحالة المزرية التي يعيشها الفنانات والفنانون العراقيون الكبار بالنسبة لشعبنا العراقي وحياتنا الراهنة؟ كم أتمنى أن يجتمع المثقفون العراقيون ليعلنوا عن رفضهم الشديد لإهانةالفن والفنانات والفنانين بمثل تلك الرواتب البائسة التي لا تغني ولا تسمن وعن مطالبتهم بتغيير هذه الحالة وتحديد حد مناسب للراتب التقاعدي الذي يمنح لهؤلاء المبدعين الطيبين من بنات وأبناء العراق الكرام.

لنرفع صوت الاحتجاج والمطالبة ولنُسمع صوت هؤلاء وصوتنا المشترك إلى أعضاء مجلس النواب واللجنة الثقافية في هذا المجلس والحكومة ورئاسة الدولة ليضعوا ويصدروا تشريعاً يصون ويحمي هؤلاء الناس المبدعين من عبث الظروف القاسية التي يعيش في ظلها الشعب العراقي وأغلب مبدعيه. تحية لكل مبدعة ومبدع في العراق ، تحية للفنان المبدع حسين نعمة ، تحية للبرنامج الذي يسمح بطرح مثل هذه الشكاوى على الناس وكذلك على المسؤولين حتى لو كان الكثير منهم ينطبق عليه قول القرآن الكريم "صم بكم عمي فهم لا يفقهون".

مكاشفات

بين ندوة ضوء على الفوتغراف ومعرض جمعية التصوير

فؤاد شاكر

أقيم في قاعة المصور العراقي في الوزيرية يوم السابع والعشرين من أيار هذا العام معرض الصور الفوتوغرافية الدولي الأول الذي نظمته الجمعية العراقية للتصوير. وبرغم قلة عدد البلدان المشاركة والتي لا تعدو أن تكون عشرة بلدان عربية في غياب المشاركة الأوربية والاجنبية بشكل عام. واللافت هنا هوأن اغلب من شاركوا فيه هم من هواة الصورة المبتدئين وليسوا من محترفيها بمن فيهم المشاركون العراقيون ما عدا القلة من المحترفين الذين توارت أعمالهم ومن ثم حجبت الكثير منها عن المعرض والمنافسة على الجوائز والسبب بالطبع يكاد يكون غامضاً ولعل الذريعة المتوقعة من جانب المعنيين هي لضيق مساحة العرض في الصالة التي أقيم فيها المعرض ذاته، أما في تفسير آخر فإن هذه الإجابة الجاهزة تأتي من باب رفع العتب، وبعيداً عن ذلك يرى المتابع المهتم أن هذا المعرض المتواضع لم يكن بمستوى الإعلان عنه مثلما لم يكن بالقيمة الفنية التي ترقى بالذائقة والإحساس وهذا الاستنتاج مبني على جملة ملاحظات موضوعية أهمها أن مضامين الصور المنتخبة للعرض والبالغة ٤٠٠ إلى ٤٥٠ من اصل ١٠٠٠ صورة بدت موضوعاتها متباينة حقا لاسيما أنها قد أكدت على الثوابت والجماليات وبإلحاح شديد من دون أن يكون لحدث الحياة في محتواها من إطلالة ولو كانت عابرة حتى أو مركزة وهذا الصنف من الأعمال التجريبية عادة ما لا يقبل بالعروض الفوتوغرافية العالمية لكن الذي يبدو من ذلك أن الذين قدموا هذه النماذج قد أعطوا ظهورهم للدنيا وركزوا اهتماماتهم تبعاً للتسلية على الجوانب الساكنة من المشهد العريض وفوق هذا قد صوروا بلا حرارة أحاسيس وانفعال صميم مع المجريات وسمات الوقت والذي يتضح أيضا أن دعوة الجمعية العراقية للتصوير عبر شبكة الانترنيت لم تلق استجابة إلا من الهواة الذين مازالوا في مرحلة التجريب في الوقت الذي وجدتها تصر على إعطاء هذه الفعالية الأهمية والهابة المغلفة باللا شيء بهدف الاستهلاك الإعلامي للتغطية على العجز والإخفاق في تنظيم فعالية دولية مهيبة بهذا المعنى . أما جملة المآخذ على هذا وغيره فهي وللحق كثيرة وأنت من أين ستبدأ ستكون مصيبا في وضع إصبعك على العلة وتاشير الخلل الذي ألحق الضرر بتأريخ المسيرة الفوتوغرافية العراقية الصاعدة التي ترجع نشأتها إلى ما قبل بداية القرن الماضي والتي احتلت مركز الريادة في الوطن العربي عن جدارة واستحقاق منذ عام ١٩١٧ حتى الآن على الأقل والجمعية من حيث تعي هذه الحقيقة أو لا تعي فهي تمضي، ومن المؤسف وضع ذلك جانباً دور الفنانين الفوتوغرافيين الذين أعقبوا مرحلة الطليعيين الأوائل والأجيال الجادة التي ظهرت على مسرح النشاط التصويري الهادف فيما بعد، وقد عنيت هنا كل الذين اشتغلوا بمسؤولية ويقظة ضمير مؤكدين الأحداث المهمة والمتغيرات ليكون المنجز الفوتوغرافي ذا دلالة تعبيرية وأثار جدلية ترتبط بإفرازات الزمن.

لعلي هنا انتهي إلى القول أن فعاليات هذه الجمعية قد اقتصرت على إقامة العروض الفوتوغرافية الجماعية من دون شروط وكيفما اتفق، المهم أن تراهن على التغطية الإعلامية دون شروط وكيفما اتفق والمهم أن تراهن على التغطية الإعلامية، لهذا النشاط أو ذلك للاستئثار بما تبثه قنوات التلفزة والصحف المحلية من تقارير إخبارية ايجابية عن الحدث ذاته إن كان ليس بالمستوى والتنظيم الموفق وهي تأخذه على علاته وإذا ما كان المتذوق والجمهور العام وبالتالي أصحاب الرأي النقدي قد غادروا صالات العروض الفنية بشكل عام والفوتوغرافية بوصف خاص لسبب أو لآخر فان ذلك في مصلحة أية فعالية شكلية لا تخاطب العقل أو ترتقي بالذوق الرفيع وهذا ما يحصل الآن وعلى جميع المستويات المحلية وفي ضوء ذلك يمكن أن يقدم معرض الجمعية آنف الذكر نموذجا بكل ما تخللته من إخفاقات وتوقيتات واختيارات غير موفقة ويعنيني أن أؤكد بالسياق في أن فكرة إقامة هذا المعرض قد جاءت على خلفية امتعاض المعنيين في هذه الجمعية من ندوة ضوء على الفوتوغراف العراقي التي أقامتها (مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون) بتاريخ ٢٤ شباط ٢٠٠٨ بقاعة بابل وحضرها العديد من الفوتوغرافيين رواداً واجيالاً مختلفة وهنا يتأكد من أن الهيئة الإدارية للجمعية للتصوير لا تتفق مع أي نشاط فني ثقافي وان كان يسهم في تطوير العملية الإبداعية وتنشيطها خارج خيمتها النقابية والمهنية وبعيداً عن وصايتها إذ لايريد أن يفهم احد منهم أن الإبداع تعبير حر لايمكن أن تؤطره المفاهيم النقابية أو محاولات الوصاية على مسيرته لكنهم على هذا يصرون.

إن الحديث عن الإخفاقات في معرض الجمعية العراقية للتصوير الأخير يقودنا للقول وعلى ضوء نتائجه المخيبة للظن في أنها كانت حصيلة التسرع في الإعلان عنه والترويج له منذ نهاية شباط الماضي وهي المسافة الزمنية غير الكافية في كل المعاني والاعتبارات فيما يخص أسباب فشله الأخرى فالذي وراء ذلك في اعتقادي هما لجنة الفرز والتحكيم ولجنة الفرز هنا هي المعنية في جعله معرضاً محلياً ولهواة الصورة المبتدئين فقط تأسيساً على حجبها الأعمال العراقية للفنانين العراقيين المحترفين والتي كانت تمتاز بقوة مضمونها التعبيري ومزاياها التقنية العالية وعلى هذا فإنها قد أبقت على الرديء وفي أحسن الأحوال المتواضع من تلك الأعمال لتضعها إمام لجنة التحكيم والقرار لتجبرها على اختيار الصنف الذي من الممكن عده بالركام الذي عادة ماتقذف به الإلة وهذا بالمقارنة مع ناتج الفكرة والهدف منه ولجنة التحكيم هي الأخرى والمؤلفة من هادي النجار رئيسا وعضوية الأستاذ عبد الجليل ادهم وعادل الطائي وخليل الطيار المحسوب على الملاك بلا خبرة مهنية ومنجز إبداعي يذكرقد أضافت فوق ذلك وعبر محدودية فهمها شروط ومزايا الصورة الفوتوغرافية المتفردة أخطاء متعددة ومتعمدة أخرى في تسميتها للصور الفائزة، وعلى سبيل المثال أنها قد أعطت الجائزة الذهبية في محور البيئة للمصور السعودي المبتدئ جاسم علي محمد عن صورته المسطحة لضفة نهر تبرز فيها من وراء كثافة ضبابية عالية أغصان أشجار مائية طالعة على السطح وهذه الصورة وبالتعبير الوصفي للمفردة بلا تكنيك ضوئي، والاهم تخلو من الآثار الجدلية المحددة وليست المطلقة وفي محور الحياة اليومية منحت اللجنة جائزتها الذهبية للمصور المبتدئ السعودي علي بن احمد دون أن تلتفت الى انها صورة تسجيلية مباشرة لا توحي بتعبير محدد أو اختصاص تقنية مضافة سوى انها لرجل مسن وحسب أما في محور الصورة فقد حصد الجائزة الذهبية المصور المبتدئ محمد احمد من السعودية أيضا عن صورته الساكنة والتي عبارة عن زورق مركون على ضفاف بحيرة، وفاتها أن تكتشف أن صفحه السماء كأرضية للصورة ذاتها قد رتّبت بطريقة الفوتوشوب بحيث اختل مستوى التناسب مابين المركز والأفاق. وفي محور الصورة السياحية خصت اللجنة بجائزتها الذهبية المصور الهاوي المصري وسام الشرقاوي عن صورته الصامتة التي أحاطت ببعض الكتل من الصخور وحيز من سماء ملبدة بالغيوم كذلك وفي محور الصورة السياحية والطبيعة منحت الجائزة الذهبية للمصور الهاوي السعودي عبد العزيز محمد عن صورته التسجيلية التي كانت تعكس مشهد مباني المدينة من الجو ولا أحكي عن الصورة الصحفية المكررة لإحداث العنف والدمار التي حظيت هي الأخرى بالجوائز المماثلة وكان الذين دفعوا بها للعرض لا يرون جوانب الحياة الأخرى ويلتفتون إليها وكأن الدنيا قد خلت من الموضوعات الإنسانية المختلفة .وقد عنيت أن الجوائز في مجموعها والحصة الأكبر منها منحت بغير استحقاق لما يسمى بالمصورين العرب وبعض المبتدئين العراقيين في هذا المعرض الذي وسم بالدولي وهو في حقيقة الأمر أقل من محلي وكل ذلك للتغطية على الإخفاقات التي رافقته لكن الغاية منه كسب ود الآخرين من أشباه الفوتوغرافيين العرب والتورية على عدم مشاركة مصورين فوتوغرافيين اوربيين أو أجانب، والاهم في الأمر هو ضمان الأصوات لمشروع إعادة إحياء اتحاد المصورين العرب المنحل بعد عام ٢٠٠٣ والمحاولات باتجاه ذلك كثيرة ومنها الإغراء بالجوائز الشكلية والتي هي عبارة عن لوح خشبي وصفيحة معدنية حسب والتي عادة ما يلهث وراءها الهواة والمبتدئون حتى ان كانت بلا محفز مادي يذكر المهم أن يجاهروا بها وكفى أن الجوائز التي منحت لأبناء أعضاء الهيئة الإدارية كانت لا تمثل الحد الأدنى من الاستحقاقات ولربما كانت قد جاءت على سبيل المجاملة لشمول عوائل الجمعية بها والكلمة الاخيرة بالسياق هي أن غالبية الأعمال المعروضة سواء أكان مضمونها التعبيري أو مزاياها التقنية لا تستحق أن تسمى أعمالاً بالمرة ولكن لا ادري كيف أعطيت هذه الأهمية وعلى أي أساس اعتبار موضوعي والصيحة هنا تمثل رد اعتبار لفن الفوتوغراف العراقي والإرث الإبداعي الثر ،أما وقد انتهيت فلا بد لي من التذكير باننا قد اعتدنا أن نتجول في المعارض الدولية لمدة شهر واحد في الأقل لكن الغرابة في الأمر أن معرض الجمعية بكل ما صاحبه من تهويل إعلامي فانه لم يستمر إلا يوماً واحداً وهو يوم الافتتاح فقط وانتهى الأمر والسؤال هو كيف يمكن ا تتابعه وسائل الأعلام وتحدث عن علاته وعيوبه الكثيرة.